د. عبدالله بن محمد الشائع
قسم دراسات المعلومات
كلية علوم الحاسب والمعلومات
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ماذا نريد من المكتبات العامة؟ مراكز تقليدية للتزود بالمعرفة أم وحدات مهمة للتفاعل الثقافي والاجتماعي؟

لعبت ولا تزال المكتبات العامة تلعب دوراً بارزاً في المجتمع، وعلى مستويات متعددة، لكنها ظلت تركز على جانب واحد منها، وذلك هو تزويد الجمهور وأفراد المجتمع بمصادر المعلومات من الكتب والمجلات وغيرها من الوسائل التقليدية الأخرى للتزود بالمعرفة. وأصبح التركيز الواضح من قبل المكتبات العامة على هذا الجانب لفترة طويلة من الزمن في منطقتنا العربية بشكل عام وفي بلادنا السعودية بشكل خاص عاملا له أثر كبير في جهود هذا النوع من المكتبات ونشاطاتها وتوجهاتها، حيث رأينا أن جل عملها كان ولازال يركز بقوة على إجراءات تقليدية من بناء المجموعات مصادر المعلومات ومعالجتها فنياً مع خدمات محدودة ينصب أغلبها على الإعارة أو التصوير في أحسن الأحوال. وقد كان لهذا التركيز على الأنشطة والخدمات التقليدية دور في إضعاف قيمة المكتبات العامة في المجتمع وتدني الإحساس بأهميتها إذا أخذنا بالاعتبار ضعف مستوى عادة القراءة في مجتمعاتنا وكذلك تدني الاعتماد على المعلومات لحل المشكلات التي تواجهنا فنحن في الواقع أمة لا تقرأ وتعالج مشاكلنا بالاجتهادات الفردية والتجارب الشخصية والتواصل الشفهي مع إهمال شبه تام للمعلومات في هذا الأمر وعلى جميع المستويات الشخصية والرسمية.

وقد زاد الطين بلة ما يشهده العالم في الوقت الراهن من تطورات هائلة في حقول التقنية والاتصالات التي شمل تاثيرها المكتبات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالمدارس والجامعات ... الخ فاصبحنا نرى مدخلات هائلة من التعليم والمعلومات تأتي من قنوات ومصادر عبر هذه التقنيات وبطرق اسهل للفرد واكثر جاذبية وتشويقا.

ولو تجاوزنا الماضي وما كان يجب على المكتبات العامة القيام به غير التركيز على توفير مصادر المعرفة واتاحتها وتقديم الخدمات التقليدية المترتبة على اقتنائها، وتساؤلنا الآن عما يمكن أن تقوم به هذه المكتبات لترفع من أهميتها، ولتتيح أمام المجتمع وافراده وبالذات فئة الصغار والشباب خيارات اخرى من النشاطات الموجهة والهادفة، ليكون لها دور في إفادة هذه الفئات وتوجيههم واحتضانهم؛ بدلا من إلقاء اللوم عليهم من قبلنا اذا بدرت منهم ممارسات غير حضارية بسبب تخلينا عنهم وتركنا اياهم لمؤثرات إعلامية وتقنية سلبية وفراغ قاتل دون معين.

ان المراقب للمجتمعات التي تعطي المكتبات اهمية وتنتظر منها مشاركة فعلية في المجتمع يرى ان المكتبات العامة في تلك المجتمعات تقوم بنشاطات متنوعة ومنذ فترات طويلة، تتراوح من تثقيفية الى اجتماعية وترفيهية؛ بل حتى تعليمية وتدريبية؛ ناهيك عن الدور التقليدي من توفير مصادر المعلومات والتعليم الذاتي بمختلف اشكالها/ ففي المملكة المتحدة البريطانية على سبيل المثال اوضحت وزارة الثقافة والاعلام والرياضة وهي الجهة التي تتبعها المكتبات العامة دور هذه المكتبات هناك بقولها:

Public libraries are a vital element in the public services of this country. They are welcoming spaces held in great affection by their communities. They provide a focus for individual learning for people of all ages and access to vital information and community networks for the socially excluded; they are a gateway to local arts and cultural activities; and they are leading the drive to increase the use of Information and Communication Technology among all sectors of society. (http://www.culture.gov.uk/PDF/libraries_pls_assess.pdf)

وفي الولايات المتحدة الامريكية وصفت مولي راقيل مديرة المكتبة العامة بمقاطعة كولومبيا في محاضرة لها في مكتبة الكونجرس التطور الذي حصل على وظائف المكتبات العامة في المدن والبلدات الامريكية بقولها:

Public libraries are deliberately creating new opportunities for training in information literacy and cultural sensitivity, as well as building new or renovated facilities with striking architecture, grand reading rooms, conference centres with kitchens for banquets and other events, more personal computing stations, integrated retail services such as cafés, coffee and gift shops, and centres for teens (who, when asked to design their own library centres, demand not only technology but also access to materials and books). (http://www.loc.gov/loc/lcib/0306/cities.html)

اذا نريد من المكتبات العامة بعد انتقالها الذي حدث قبل سنوات قليلة الى وزارة الثقافة والإعلام. وفي ظل ما نسمعه من الوزارة عن خطط لنشر المزيد من المكتبات العامة في الدولة وتحسين مستوياتها، ان لا يتكرر فيها ما حصل لها في الماضي من تركيز على نشاطات تقليدية للمكتبات فقط (بناء مجموعات الكتب وخدماتها التقليدية)، بل يجب ان تنهض بجميع الادوار المطلوبة منها في ظل تنافس حميم لجذب فئات المجتمع وخصوصا فئة الصغار والشباب من قبل قطاعات ومجالات إعلامية منها او تقنية او ترفيهية سلبية وغير مرشدة وخلاف ذلك من وسائل الجذب غير النافعة الأخرى. نريد من المكتبات العامة ان تكون مؤسسات يجد فيها افراد المجتمع نشاطات مسرحية هادفة، ومحاضرات توعوية جذابة، ووسائل ترفيهية نافعة (صالات للرياضة الخفيفة واجهزة لعرض الافلام والمواد الفيلمية الشيقة والهادفة ... الخ)، واماكن للجلسات الاجتماعية المسلية، ودورات تعليمية وتدريبية للرفع من المهارات المعلوماتية والتقنية المناسبة للوقت الراهن: هذا كله مضاف للدور الاساسي لها من توفير مصادر وخدمات المعلومات والتعليم بمختلف اشكالها الورقي والإلكتروني خصوصا خدمات الدخول لشبكة الانترنت للكثير من افراد المجتمع الذين ليس لديهم القدرة على الوصول لهذه الشبكة بامكانيات شخصية. هكذا يفترض ان يكون وضع المكتبات العامة في هذا الوقت حتى تحظى بمكانتها الحقيقية في المجتمع وتقوم بدورها المأمول الذي ينتظره الناس منها. أما ان تكون مكتبات تقليدية بشكلها القديم فهذا لن يضيف شيئا جديدا لمستواها الحالي. طبعا تحتاج المكتبات العامة بهذه الصورة إلى دعم كبير وإمكانيات مناسبة من مباني مصممة بطريقة عصرية وطاقم بشري متخصص وذو كفاءة ملائمة وتجهيزات عالية تتناسب مع جميع الأدوار والنشاطات المطلوبة منها وفوق ذلك كله خطط استراتيجية تتلائم مع طبيعة المكتبات العامة كمؤسسات اجتماعية وثقافية وهذه المتطلبات ليست صعبة في ظل الامكانات التي انعم الله بها على هذه البلاد في الوقت المعاصر.

ملاحظة: الحديث هنا متوجه للمكتبات العامة بقطاعها العريض دون الاستثناءات الموجودة في هذه المكتبات والتي تحظى بدعم ورعاية خاصة تخرج عن القاعدة التي وصفت في مقدمة هذه المقالة.